

سورة ن

مكية، وهي اثنان وخمسون آية
[نزلت بعد العلق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾

قارئ: ن والقلم بالإدغام، ويسكون النون وفتحها وكسرها، كما في ص. والمراد هذا الحرف من حروف المعجم: وأما قولهم: هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي؟ ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة من أن يكون جنساً أو علماً، فإن كان جنساً فأين الإعراب والتنوين، وإن كان علماً فأين الإعراب، وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام. فإن قلت: هو مقسم به وجب إن كان جنساً أن تجزئه وتنونه، ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة، كأنه قيل: ودواة والقلم، وإن كان علماً أن تصرفه وتجزئه، أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث، وكذلك التفسير بالحوت: إما أن يراد نون من النيان، أو يجعل علماً لليهموت^(١) الذي يزعمون، والتفسير باللوح من نور أو ذهب، والنهر في الجنة نحو ذلك، وأقسم بالقلم: تعظيماً له، لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة، ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وما يكتب من كتب. وقيل: ما يستره الحفظة، وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه، فيكون الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ لهم كأنه قيل: وأصحاب القلم ومسطوراتهم. أو وسطورهم، ويراد بهم كل ما يسطر، أو الحفظة.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾

فإن قلت: بم يتعلق الباء في ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وما محله؟ قلت: يتعلق بمجنون منفياً^(٢)،

(١) قوله: «أو يجعل علماً لليهموت» لعله باليهموت بالموحدة كعبارة غيره، فليحرر. (ع)

(٢) قوله: «يتعلق بمجنون منفياً» في النسفي تتعلق بمحذوف، ومحله النصب على الحال. والعامل فيهما (بمجنون). (ع)

كما يتعلق بعاقل مثبتًا في قولك: أنت بنعمة الله عاقل، مستويًا في ذلك الإثبات والنفي استواءهما في قولك: ضرب زيد عمرًا، وما ضرب زيد عمرًا: تعمل الفعل مثبتًا ومنفيًا إعمالًا واحدًا؛ ومحلله النصب على الحال، كأنه قال: ما أنت بمجنون منعمًا عليك بذلك^(١)؛ ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله، لأنها زائدة لتأكيد النفي. والمعنى؛ استبعاد ما كان ينسب إليه كفار مكة عداوة وحسدًا، وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل^(٢) والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة، بمنزل ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال ذلك وإساعة الغصة فيه والصبر عليه ﴿لَأَجْرًا﴾ لثوابًا ﴿عَبْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع كقوله: ﴿عَطَاءَ عَبْرَ مَجْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٨] أو غير ممنون/ ٢/ ١٢٣١ أ عليك به^(٣)، لآته ثواب تستوجبه^(٤) على عملك، وليس بتفضل ابتداء؛ وإنما تمنّ الفواضل لا الأجور على الأعمال.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

استعظم خلقه لفرط احتمال الممضات^(٥) من قومه وحسن مخالفته ومداراته لهم. وقيل: هو الخلق الذي أمره الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وعن عائشة رضي الله عنها: أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، ألسنت تقرأ القرآن: قد أفلح المؤمنون (١٦٤٥).

١٦٤٥ - أخرجه مسلم (٣/ ٢٧٩ - ٢٨١): كتاب صلاة المسافرين: باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه، حديث (١٣٩) - (٧٤٦).

- وأبو داود (٢/ ٤٠): كتاب الصلاة: باب في صلاة الليل، حديث (١٣٤٢).

- (١) قوله: «منعمًا عليك بذلك» كذا في النسفي بعد ما سبق فيه (ما أنت بنعمة ربك) أي بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها. وهذا مرجع الإشارة. (ع)
- (٢) قوله: «وانه من إنعام الله بحصافة» لعله من إنعام الله عليه بحصافة العقل أي استحكامه. كما أفاده الصحاح. (ع)
- (٣) قال محمود: «معناه غير مقطوع، كقوله: (عطاء غير مجذوذ)... إلخ» قال أحمد: ما كان النبي ﷺ يرضى من الزمخشري بتفسير الآية هكذا. وهو ﷺ يقول: «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضله منه ورحمة» ولقد بلغ بالزمخشري سوء الأدب إلى حد يوجب الحد، وحاصل قوله: أن الله لا منة له على أحد ولا فضل في دخول الجنة لأنه قام بواجب عليه، نعوذ بالله من الجراء عليه.
- (٤) قوله: «لأنه ثواب تستوجبه على عملك» وجوب الثواب عليه تعالى مذهب المعتزلة، ولا يجب عليه شيء عند أهل السنة. (ع)
- (٥) قوله: «احتماله الممضات» أي: الموجعات. أفاده الصحاح. (ع)

﴿فَسَبِّحْهُ وَبِحَمْدِهِ﴾ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾

﴿الْمَفْتُونُ﴾ المجنون، لأنه فتن: أي محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن، وهم الفتان للفتاك منهم، والباء مزيدة. أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود، أي: بأيكم الجنون، أو بأي الفريقين منكم الجنون^(١). أفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين؟ أي: في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم، وهو تعريض بأي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما، وهذا كقوله تعالى: ﴿سَيَعْتَابُونَ عَذَابًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَلْبِئِرِ﴾ ﴿٦٦﴾ [الفر: ٢٦].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٨﴾
﴿وَدَوًّا لَّو تَدَّهَنُ فَيَدَّهِنُونَ﴾ ﴿٩﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ بالعقلاء وهم المهتدون. أو يكون وعيدًا ووعدًا، وأنه أعلم بجزاء الفريقين ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم، وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة، وآلهتهم مدة، ويكفوا عنه غوائلهم ﴿لَوْ تَدَّهِنُ﴾ لو تلين وتصانع ﴿فَيَدَّهِنُونَ﴾ فإن قلت: لم رفع ﴿فَيَدَّهِنُونَ﴾ ولم ينصب بإضمار (أن) وهو جواب التمني؟ قلت: قد عدل به إلى طريق آخر: وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف، أي: فهم يدهنون، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] على معنى: ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ. أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون؛ لطمعهم في إدهانك. قال سيبويه: وزعم هارون أنها في بعض

= - وابن ماجه (٧٨١/٢ - ٧٨٢): كتاب الأحكام: باب الحكم فيمن كسر شيئًا، حديث (٢٣٣٣).
- والحاكم (٤٩٩/٢): كتاب التفسير: باب كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن.
- وأحمد (٥٤/٦، ٩١، ١١١).
- والبيهقي في الدلائل (٣٠٨/١).
- والواحدي في الوسيط (٣٣٤/٤).
قال الحافظ:

أخرجه مسلم من رواية زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عنه وفيه قصة؛ وأخرجه الحاكم مختصرًا بلفظ المصنف. انتهى

(١) قوله: «أو بأي الفريقين منكم الجنون» لعله المجنون. وفي النسفي. قال الزجاج: الباء بمعنى في. تقول: كنت ببلد كذا، أي: في بلد كذا، وتقديره: في أيكم المفتون، أي: في أي الفريقين منكم المجنون. (ع)

﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلْفٍ مِّمَّيْنٍ﴾ ﴿١٢﴾ هَمَّازٍ مَشَامٍ بِنَيْمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٧﴾ عُمَّلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ مَا يُنْتَنَى قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْقَرْطُورِ ﴿١٦﴾

﴿حَلْفٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به مزجرة لمن اعتاد احلف. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. ﴿مِّمَّيْنٍ﴾ من المهانة وهي القلة والحقارة، يريد القلة في الرأي والتمييز. أو أراد الكذاب لأنه حقيير عند الناس ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب طعان. وعن الحسن. يلوي شدقيه في أفوية الناس ﴿مَشَامٍ بِنَيْمٍ﴾ مضرب^(١) نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم. والنميم والنميمة: السعاية، وأنشدني بعض العرب [من الرجز]:

تَشْبِي تَشْبِيبِ التَّمِيمَةِ تَمَشِي بِهَا زَهْرًا إِلَى تَمِيمَةٍ^(٢)

﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ بخيل. والخير: المال. أو مناع أهله الخير وهو الإسلام، فذكر الممنوع منه دون الممنوع، كأنه قال: مناع من الخير. قيل: هو الوليد بن المغيرة المخزومي: كان موسرًا، وكان له عشرة من البنين، فكان يقول لهم وللحمته^(٣): من أسلم منكم منعتي رفدي، عن ابن عباس. وعنه: أنه أبو جهل. وعن مجاهد: الأسود بن عبد يغوث. وعن السدي: الأخنس بن شريق، أصله في ثقيف وعداده في زهرة، ولذلك قيل: زعيم ﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز في الظلم حده ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام ﴿عُمَّلٍ﴾ غليظ جاف، من عتله: إذا قاده بعنف وغلظة ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعدما عدَّ له من المثالب والنقائص ﴿زَيْنٍ﴾ دعي^(٤). قال

(١) قوله: «مضرب نقال» في الصحاح «التضرب بين القوم»: الإغراء. (ع)

(٢) لأعرابي يخاطب النار. والتشبيب: التوقد. والنميمة: تزوير الكلام. وتزويقه للإفساد بين الناس. وثوب منمم ومنمم: منقش محسن. وزهرا - بالفتح -: اسم امرأة نمامة. وتميمة: قبيلة تميم، ونزل النار منزلة العاقل فأمرها وقال: اشتعلي كاشتعال النميمة حال كونها تمشي بها هذه المرأة إلى بني تميم، وكانت كثيرة الإفساد بين العرب، حتى ضرب بها المثل؛ وجعل اشتعال نيمتها أبلغ من اشتعال النار، فأمرها أن توقد كتوقدها، وبين نميمة وتميمة الجنس اللاحق.

ينظر: تاج العروس (شبيب)، وأساس البلاغة (حظر)، (شبيب)، والدر المصون (٦/٣٥٢).

(٣) قوله: «يقول لهم وللحمته» في الصحاح «اللحمة» بالضم: القراية. (ع)

(٤) قال محمود: «العتل الجافي، والزنيمة الداعي، وكذلك كان الوليد بن المخزومي استلحقه المغيرة بعد ثمان عشر من مولده... إلخ» قال أحمد: وإنما أخذ كون هذين أشد معايبه من قوله بعد ذلك، فإنه يعطي تراخي المرتبة فيما بين المذكور أولاً والمذكور بعده في الشر والخير. ونظيره في الخير قوله تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ومن ثم استعملت ثم لتراخي المراتب، وإن أعطت =

حسان [من الطويل]:

وَأَنْتَ زَيْنِمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطٌ خَلْفَ الرَّايِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ^(١)

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده. وقيل: بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية، جعل جفاه ودعوته أشد معاييه، لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية، ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها. ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده» (١٦٤٦) و﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ نظير (ثم) في قوله: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٧] وقرأ الحسن: عتل، رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك. والزنيم: من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقتها، لأنه زيادة معلقة بغير أهله «أَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ﴾ متعلق بقوله: «وَلَا تُطْعَمُ﴾ يعني: ولا تطعمه مع هذه المثالب، لأن كان ذا مال. أي: ليساره وحظه من الدنيا. ويجوز أن يتعلق بما بعده على

١٦٤٦ - أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٤٩/٨) في ترجمة يوسف بن أسباط.

- والحديث بمعناه عند النسائي في الكبرى (١٧٨/٣): كتاب العتق رقم (٥/٤٩٢٨).

- وكذلك رواه ابن حبان (١٧٥/٨ - ١٧٧): كتاب الزكاة: باب «ذكر الإخبار عن نفى دخول الجنة...» رقم (٣٣٨٣).

- وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٧٦/٤) للثعلبي من نفس طريق أبي نعيم. قال الحافظ:

أخرجه أبو نعيم في ترجمة مجاهد من رواية عبدالله بن حسن في ترجمة يوسف بن أسباط من رواية بركة بن محمد عن يوسف بن أسباط عن أبي إسرائيل الملائي عن إسماعيل بن إسحاق عن قبيصة بن عمرو عن مجاهد عن ابن عمر عن أبي هريرة. ثم رواه من طريق إسحاق بن منصور عن أبي إسرائيل به وأبو إسحاق ضعيف جدا. وقد ادعى ابن طاهر وابن الجوزي أن هذا الحديث موضوع. وقد خولف عن مجاهد. رواه النسائي من طريق إبراهيم بن مجاهد عن مجاهد عن محمد ابن عبدالرحمن عن أبي هريرة بلفظ «لا يدخل الجنة ولد زنا. ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء» وإبراهيم فيه ضعف. ورواه أيضا من رواية يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد نحو حديث منصور الآتي. ويزيد ضعيف وروى النسائي أيضا من رواية شعبة عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن عبدالله بن شريك عن جابان عن عبدالله بن عمر بلفظ «لا يدخل ولد زانية الجنة» ومن رواية سفيان عن منصور بإسقاط عبدالله بن شريك. وأخرجه ابن حبان من الوجيعين. وقال الطريقان محفوظان. إلا أن الثوري أعرف بحديث ملو. انتهى

= عكس الترتيب الوجودي.

(١) لحسان بن ثابت يخاطب الوليد بن المغيرة، يقول: إنه زنيم، أي معلق في آل هاشم كالزنمة في الإهاب وهي قطعة جلد صغيرة تترك معلقة بطرفه، فشبها بها وشبها بالقدح المنفرد الفارغ المعلق خلف الراكب.

معنى: لكونه متمولاً مستظهِراً بالبينين كذب آياتنا^(١) ولا يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ الذي هو جواب إذا، لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب. وقرئ: «أأن كان؟» على الاستفهام على: إلا لأن كان ذا مال وبينين، كذب. أو أتعطيه لأن كان ذا مال. وروى الزبير عن نافع: إن كان، بالكسر والشرط للمخاطب، أي: لا تطع كل حلاف شارطاً يساره، لأنه إذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى، ونحوه صرف الشرط إلى المخاطب/٢/٢٣١ ب صرف الترجي إليه في قوله تعالى: ﴿لَمَلَّمُ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤] الوجه: أكرم موضع في الجسد، والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له، وبذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة. وقالوا الأنف من الأنف، وحمى أنفه، وفلان شامخ العينين. وقالوا في الذليل: جدع أنفه، ورغم أنفه، فعبّر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة على الوجه شين وإذالة^(٢)، فكيف بها على أكرم موضع منه، ولقد وسم العباس أباعر^(٣) في وجوهها، فقال له رسول الله ﷺ: «أكرموا الوجوه» فوسمها في جواعرها^(٤) (١٦٤٧) وفي لفظ «الخرطوم» استخفاف به واستهانة. وقيل معناه: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة، كما عادى رسول الله ﷺ عداوة بان بها عنهم. وقيل: خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على

١٦٤٧ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٧٨/٤)، غريب بهذا اللفظ وأخرج مسلم عن ابن عباس بنحوه (٣٤٨/٧ - ٣٤٩): كتاب اللباس والزينة: باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، رقم (١٠٨) - (٢١١٨).

- والبيهقي (٣٥/٧): كتاب الصدقات: باب ما جاء في موضع الوسم وفي صفة الوسم.
- وابن حبان (٤٤٢/١٢): كتاب الحظر والإباحة: فصل فيما يتعلق بالدواب. رقم (٥٦٢٥) جميعهم من رواية ابن عباس.
قال الحافظ:

لم أره هكذا. وفي ابن حبان من حديث ابن عباس «أن العباس وسم بعيراً له. ودابة بني وجهها فرأه النبي صلى الله عليه وسلم فغضب: فقال العباس: لا أسمه إلا في آخره فوسمه في جاعرتيه» وأصله في مسلم بلفظ «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حملاً موسوم الوجه، فأنكر ذلك فقال الرجل: والله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه. فأمر بحمار له فكوى بني جاعرتيه». فهو أول من كوى في الجاعرتين؛ زاد الطبراني، وكان الرجل الذي كوى: العباس بن عبد المطلب. انتهى

- (١) قوله: «كذب آياتنا» عبارة النسفي: كذب بآياتنا. (ع)
- (٢) قوله: «وإذالة» في القاموس «أذله» أهنته اهـ. (ع)
- (٣) قوله: «أباعر» لعله أباعره بالإضافة إلى الضمير، لأن الجمع أبعرة وأباعر، كما في الصحاح. (ع)
- (٤) قوله: «فوسمها في جواعرها» الجاعرة: ما حول الدبر. أفاده الصحاح. (ع)

خرطوميه. وقيل: سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعًا، فلا تخفى، كما لا تخفى السمة على الخرطوم. وعن النضر بن شميل: أن الخرطوم الخمر، وأن معناه: سنحده على شربها وهو تعسف. وقيل للخمر: الخرطوم، كما قيل لها: السلافة. وهي ما سلف من عصير العنب. أو لأنها تطير في الخياشيم.

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَمْصَبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَهْمُوا لِيَصْرُمْنَهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَيَّ حَرْبٌ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَرْبًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

إنا بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ عليهم ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَمْصَبَ الْجَنَّةِ ﴾ وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة درن صنعاء بفرسخين^(١)، فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي، وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل، وما في أسفل الأكداس^(٢) وما أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت، فكان يجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال، فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف^(٣) خفية عن

(١) قال محمود: «أصحاب الجنة قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين... إلخ» قال أحمد: وفائدة التذكير الإبهام تعظيمًا لما أصابها، ومعنى كالصريم: أي لهلاك ثمرها. وقيل الصريم الليل، لأنها احترقت واسودت. وقيل: النهار، أي خالية فارغة من قولهم: بيض الإناء، إذا فرغه. قلت: ومنه البياض من الأرض، أي: الخالية من الشجر. ورد في الحديث، ويستعمله الفقهاء في المساقاة، ومعنى صارمين: حاصدين. قال: وإنما عدل عن «إلى» في قوله: (على حرككم) لأن غدوهم كان ليصرموه، فهو غدو عليه، ومعنى (يتخافتون) يسرون حديثهم خيفة من ظهور المساكين عليهم. وقوله: (ألا يدخلها اليوم عليكم مسكين) مثل: لا أرينك هنا؛ والحد من حاردت السنة إذا منعت خيرها. والمعنى: وغدوا على نكد ومنع غير عاجزين عن النفع. وقيل: الحد السرعة، أي: غدوا مسارعين نشطين لما عزموا عليه من الحرمان. ومعنى (قادرين) على هذا التأويل: عند أنفسهم. وقيل: حرد اسم الجنة المذكورة، وقولهم: (إنا لصالون) قاله في بديهة أمرهم دهشًا لما رأوا ما لم يعهدوه فاعتقدوا أنهم ضلوا عنها وأنها ليست هي؛ ثم لما تينوا وأيقنوا أنها هي أضربوا عن الأول إلى قولهم: (بل نحن محرومون).

(٢) قوله: «وما في أسفل الأكداس» في الصحاح «الكُدس» بالضم: واحد أكداس الطعام. (ع)

(٣) قوله: «مصبحين في السدف خفية» في الصحاح «السدف» في لغة نجد: الظلمة، وفي لغة غيرهم =

المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم، وقيل: كانوا من بني إسرائيل فأحرق الله جنتهم. ﴿مُضَيَّبِينَ﴾ داخلين في الصبح مبكرين ﴿وَلَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) ولا يقولون إن شاء الله. فإن قلت: لم سمي استثناء، وإنما هو شرط؟ قلت: لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء، من حيث أن معنى قولك: لأخرجن إن شاء الله، ولا أخرج إلا أن يشاء الله. واحد ﴿فَطَافَ عَلَيْهِ﴾ بلاء أو هلاك ﴿طَائِفًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢] وقرئ: «طيف» ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (٢٠) كالمصرومة لهلاك ثمرها. وقيل: الصريم الليل، أي. احترقت فاسودت. وقيل: النهار أي: بيست وزهبت خضرتها. أو لم يبق فيها شيء، من قولهم: بيض الإناء، إذا فرغه. وقيل الصريم الرمال ﴿صَرِيمِينَ﴾ حاصدين. فإن قلت: هلا قيل: اغدوا إلى حرثكم؛ وما معنى (على)؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه: كان غدواً عليه، كما تقول: غدا عليهم العدو. ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال، كقولهم: يغدئ عليه بالجفنة ويراغ، أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ يتسازون فيما بينهم. وخفى، وخفت، وخفد: ثلاثها في معنى الكتم، ومنه الخفدود للخفاش ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا﴾ أن مفسرة. وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول، أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها؛ والنهي عن الدخول للمساكين نهى لهم عن تمكينه منه، أي: لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك: لا أرينك هنا. الحرد: من حردت السنة إذا منعت خيرها؛ وحاردت الإبل إذا منعت دزها. والمعنى: وغدوا قادرين على نكد، لا غير عاجزين عن النفع، يعني أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم، فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرام، وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة. أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين، بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها، أي: غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع، أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبث نيتهم: عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموها خيرها، فلم يغدوا على حرث وإنما غدوا على حرد. و﴿قَدِيرِينَ﴾ من عكس الكلام للتهكم، أي: قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين، وعلى حرد ليس بصلة قادرين، وقيل: الحرد بمعنى الحرد. وقرئ: «على حرد»، أي لم بقدروا إلا على حرق وغضب بعضهم على بعض، كقوله تعالى: ﴿يَتَلَوَّمُونَ﴾ [القلم: ٣٠] وقيل: الحرد القصد والسرعة؛ يقال: حردت حردك. وقال [من الرجز]:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّئِئِ يَحْرُدُ حَرْدُ الْجَنَّةِ الْمُغِيَّةِ (١) ١٢٣٢/٢

= الضوء. (ع)

(١) يصف سيلاً بالكثرة، ولذلك قال: من عند الله. ويروى: من أمر الله، وحذفت الألف قبل الهاء من لفظ الجلالة لأنه جائز في الوقف. وحرد يحرد من باب ضرب، بمعنى قصد وأسرع، أي: يسرع =

وقطا حراد: سراع، يعني: وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط، قادرين عند أنفسهم، يقولون: نحن نقدر على صرامها وزِي^(١) منفعتها عن المساكين. وقيل: ﴿حَزَبٌ﴾ علم للجنة، أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم. أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان ﴿قَالُوا﴾ في يديهم وصولهم ﴿إِنَّا لَمَأْلُونٌ﴾ أي ضللنا جنتنا، وما هي بها لما رأوا من هلاكها؛ فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَقُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ حرمانا خيرها لجنايتنا على أنفسنا ﴿أَوْسَطُمْ﴾ أعدلهم وخيرهم، من قولهم: هو من سطة قومه، وأعطني من سطات مالك. ومنه قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿لَوْلَا سُبْحُونَ﴾ لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم، كأن أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين، وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم، وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة، فعصوه فعيروهم. والدليل عليه قولهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فتكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة، ولكن بعد خراب البصرة. وقيل: المراد بالتسييح. الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله، لأن الاستثناء تفويض إليه، والتسييح تنزيه له؛ وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم. وعن الحسن: هو الصلاة، كأنهم كانوا يتوانون في الصلاة؛ ولأنه لنتهم عن الفحشاء والمنكر، ولكانت لهم لطفًا في أن يستثنوا ولا يحرموا ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح، ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء ﴿يَتَلَوْنَهُ﴾ يلوم بعضهم بعضًا؛ لأن منهم من زين، ومنهم من قبل، ومنهم من أمر بالكف وعذر، ومنهم من عصى الأمر، ومنهم من سكت وهو راض ﴿أَنْ يُدِيلَنَا﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف ﴿إِلَى رَبِّنَا رَعِيقُونَ﴾ طالبون منه الخير راجون لعفوه ﴿كَذَلِكَ أَفْتَابُ﴾ مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ الْآخِرَةَ﴾ أشد وأعظم منه، وسئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال: لقد كلفتنني تعبًا. وعن مجاهد: تابوا فأبدلوا خيرًا منها. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه: بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان: فيها عنب يحمل البغل منه عنقودًا.

= إسراع الجنة أي البستان المغلة كثير الغلة والخير، ومعنى إسراع الجنة؛ ظهور خيرها قبل غيرها في زمن يسير، واختارها لأنها تنشأ عن السيل.

ينظر: خزانة الأدب ٣٥٦/١٠، وسمط اللآلي ص ٣١، وبلا نسبة في لسان العرب (حرد)، (غلل)، (أله)، وخزانة الأدب ٣٥٦/١٠، وجمهرة اللغة ص ١٦٠، ٥٠١، ٩٦٢، وسر صناعة الإعراب ص ٧٢١، ومعجم ما استعجم ص ٧٨٥، وتهذيب اللغة ٤٢٢/٦، ومجمل اللغة ٥٦/٢، ومقاييس اللغة ٥١/٢، وديوان الأدب ١٥١/٢، وتاج العروس (غلل)، وكتاب العين ١٨١/٣.

(١) قوله: «وزي منفعتها» في الصحاح: تقول: زوى فلان المال عن وارثه زياً. (ع)

﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمَ ﴾ (٢٤)

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي في الآخرة ﴿جَنَّتِ النَّعِيمَ﴾ ليس فيها إلا التمتع الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا.

﴿ أَفَتَجْمَلُ الْمُتْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا بَلَاغَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾

كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساونا، ف قيل: أنحيف في الحكم فنجمع المسلمين كالكافرين. ثم قيل لهم على طريقة الالتفات^(١) ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٢٦) هذا الحكم الأعوج؟ كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ ﴾ من السماء ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ في ذلك الكتاب أن ما تختارونه وتشتهونه لكم، كقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٥) فَأَنزَلْنَا بِكِتَابِكُمْ ﴿ الصافات: ١٥٦ - ١٥٧ ﴾ والأصل تدرسون أن لكم ما تخيرون، بفتح أن؛ لأنه مدروس؛ فلما جاءت اللام كسرت. ويجوز أن تكون حكاية للمدروس، كما هو، كقوله: ﴿ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٢٨) سَلُّوا عَلَيْنَا نَوْجَ فِي الْقَائِمِينَ ﴿٢٩﴾ [الصافات: ٧٨ - ٧٩]. وتخير الشيء واختاره: أخذ خيره، ونحوه: تنخله وانتخله: إذا أخذ منخوله. لفلان علي يمين بكذا: إذا ضمنته منه وحلفت^(٢) له على الوفاء به، يعني: أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد فإن قلت: بم يتعلق ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾؟ قلت: المقدر في الظرف، أي: هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدها إلا يومئذ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون. ويجوز أن يتعلق ببالغة، على أنها تبلغ ذلكم اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم. وقرأ الحسن: بالغة، بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ جواب القسم؛ لأن معنى ﴿ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا ﴾ أم أقسمنا لكم.

(١) قال محمود: «هذا خطاب على وجه الالتفات لأهل مكة إذ اعتقدوا أنهم في الآخرة أكثر نعيماً من المؤمنين... إلخ» قال أحمد: ولما كان الدرس قولاً كسرهما.

(٢) قوله: «إذا ضمنته منه وحلفت له» لعله: عنه؛ وكذا قوله: «منكم» لعله «عنكم» وفي الصحاح: ضمت الشيء تضميناً فتضمنه عني. (ع)

﴿سَلَّمَهُمْ أَيُّهُمْ يَدْلُكَ زَعِيمٌ﴾ (٤١) أَمْ لَمْ تَشْرَكْهُمْ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٢﴾

﴿أَيُّهُمْ يَدْلُكَ﴾ الحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ أي قائم به وبالإحتجاج لصحته، كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمرهم ﴿أَمْ لَمْ تَشْرَكْهُمْ﴾ أي ناس/٢/٢٣٢ ب يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه ﴿فَلْيَأْتُوا﴾ بهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم، يعني: أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه، كما أنه لا كتاب لهم ينطق به، ولا عهد لهم به عند الله، ولا زعيم لهم يقوم به.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) خَشِيعَةً أَنْصَرَمُ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

الكشف عن الساق والإبداء عن الخدام^(١): مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب، وإبداء خدامهن عند ذلك. قال حاتم [من الطويل]:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا
وَإِنْ شَمَرَتْ عَن سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرَا^(٢)
وقال ابن الرقيات [من الخفيف]:

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَن بَيْتِهِ وَتُبْدِي
عَن خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءَ^(٣)

(١) قوله: «والإبداء عن الخدام» جمع خدمة، وهي الخللخال. أفاده الصحاح، وذلك كرقاب جمع رقة. (ع)

(٢) لجزير. ويروى بدل الشطر الأول:

ألا رب ساهي الطرف من آل مازن
إذا شممرت..... إلخ
وساهي الطرف: فاتر العين. وأخو الحرب: بمعنى أنه يألفها ويلازمها كالأخ. وشبه الحرب بفرس عضود على طريق الكناية، فأثبت لها العضد. وعضها: أي بلغ منها مراده. أو غلب أهلها؛ فالعض استعارة لذلك على طريق التصريح. ويجوز أنه ترشيح للأولى. وقوله: «به» يدل على أن العض وقع بجزئه. وقوله: «عضها» يفيد أنه وقع بها كلها، يعني: أنه يكافئ أعداءه وزيادة. والتشمير عن الساق: كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته. وأصله: أن يسند للإنسان؛ لأن تشمير الثوب عن الساق لخوض لجة أو جري أو نحوه، فأسند الحرب لتشبيها بالإنسان على طريق الكناية. وقوله: «شمر» أي عن ساعده لا عن ساقه؛ لأن تشمير الساعد كناية عن ملاقة الأمر ومباشرة بنشاط وقوة، وهو المراد. أو شمر عن ساقه وساعده دليل الإطلاق، فيكون أبلغ من تشميرها. فإن قلت: كان ينبغي ذكر التشمير قبل العض لأنه من باب الاستعداد، قلت: نعم لو بقي على معناه، ولكن المراد به هنا شدة الأمر، وصعوبة الحرب: زيادة على أصلها.

ينظر: البحر المحيط (٣١٦/٨)، والدر المصون (٣٥٨/٦).

(٣) كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء؟ =

فمعنى «يَوْمٌ يَكْتَفُ عَنْ سَاقٍ» في معنى: يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل؛ وإنما هو مثل في البخل. وأما من شبه فلضيق عطنه^(١) وقلة نظره في علم البيان، والذي غزه منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «يكشف الرحمن عن ساقه؛ فأما المؤمنون فيخرون سجداً^(٢)، وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً طبقاً كأن فيها سفايد»^(٣) (١٦٤٨) ومعناه: يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هول، وهو الفزع الأكبر يوم القيامة، ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبه، لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن. فإن قلت:

١٦٤٨ - أخرجه الحاكم (٥٨٢/٤ - ٥٨٣): كتاب الأهوال: باب كشف ساق الله وسجود العباد يوم القيامة من طريق عبدالله بن مسعود.

- وأخرجه البخاري مختصراً (٥٣٨/٨) ومسلم (١١٤/١ - ١١٧): كتاب الإيمان والبيهقي في الأسماء والصفات (ص/٣٤٤).

قال الحافظ:

أخرجه الحاكم من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود في أثناء حديث طويل ليس فيه تصريح برفعه. ورواه الطبري مختصراً. انتهى

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء

لعبيد بن قيس الرقيات. وكيف استفهام إنكاري، بمعنى نفي النوم. ولما بمعنى لم، إلا أن فيها استمرار النفي إلى زمن التكلم وتوقيع الوقوع بعده. وشبه الغارة وهي الحرب بماله إحاطة وشمول على طريق المكنية؛ والشمول تخييل؛ والشعواء الغاشية المنتشرة؛ وإذها لها للشيخ عن بنيه: كناية عن اشتدادها، وكذلك كشفها عن خدام العقيلة، والخدام: الخلدال. وعقيلة كل شيء: أكرمه. ومن النساء المخدرة التي عقلت في خدرها. والعذراء: التي يتعذر نوالها ويشق وصالها. وفيه الإقواء، وهي اختلاف الروي بالضم والكسر. ويروى برفع العقيلة العذراء على أنه فاعل تبدي، وجمله ابن جرير شاهداً على جواز حذف التنوين إذا تلاه ساكن، وإن كان الكثير تحريكه حينئذ، وعلى هذا فتحتاج هذه الجملة إلى رابط يعود على المنعوت وهو غارة؛ والتقدير: وتبدي فيها العقيلة عن خلدال.

ينظر: ديوانه ص ٩٦، والأغاني ٦٩/٥، وخزانة الأدب ٢٨٧/٧، ٣٧٧/١١، وسر صناعة الإعراب ص ٥٣٥، وشرح المفصل ٣٧/٩، ولسان العرب (شعا)، والمنصف ٢٣١/٢، ولمحمد بن الجهم بن هارون في معجم الشعراء ص ٤٥٠، وبلا نسبة في الإنصاف ص ٦٦١، وتذكرة النحاة ص ٤٤٤، ولسان العرب (خدم)، ومجالس ثعلب ص ١٥٠.

(١) قوله: «وأما من شبه فلضيق عطنه» أي من قال بمذهب المشبهة على ما هو مقرر في علم الكلام، كما سيشير إليه بعد. (ع)

(٢) أخرجه الحاكم من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الزهراء عن ابن مسعود في أثناء حديث طويل ليس فيه تصريح برفعه. ورواه الطبري مختصراً.

(٣) قوله: «كأن فيها سفايد» واحداً سفود بالتشديد، وهي حديدة يشوى بها اللحم. أفاده الصحاح. (ع)

فلم جاءت منكرة في التمثيل؟ قلت: للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة منكر خارج عن المؤلف، كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ [القمر: ٦] كأنه قيل: يوم يقع أمر فظيع هائل؛ ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل: وعن أبي عبيدة: خرج من خراسان رجلان، أحدهما: شبه حتى مثل، وهو مقاتل بن سليمان، والآخر نفي حتى عطل وهو جهم بن صفوان؛ ومن أحس بعظم مضارّ فقد هذا العلم، علم مقدار عظم منفعه. وقرئ: «يوم تكشف» بالنون. وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعًا، والفعل للساعة أو للحال، أي: يوم تشتدّ الحال أو الساعة، كما تقول: كشفت الحرب عن ساقها، على المجاز. وقرئ: «تكشف» بالتاء المضمومة وكسر الشين، من أكشف: إذا دخل في الكشف. ومنه. أكشف الرجل فهو مكشف، إذا انقلبت شفته العليا. وناصب الظرف: فليأتوا. أو إضمار «اذكر» أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت، فحذف للتهويل البليغ. وإن ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه. عن ابن مسعود رضي الله عنه: تعقم أصلابهم، أي ترد عظامًا بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض. وفي الحديث: وتبقى أصلابهم طبقًا واحدًا، أي، فقارة واحدة. فإن قلت: لم يدعون إلى السجود ولا تكليف؟ قلت: لا يدعون إليه تعبدًا وتكليفًا، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السجود في الدنيا، مع إقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرًا لهم وتنديمًا على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود، وهم سالمون الأصلاب^(١) والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَتُدْرَجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٤) وَأَمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي

مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

يقال: ذرني وإياه، يريدون كله إليّ، فإني أكفيك، كأنه يقول: حسبك إيقاعًا به أن تكل أمره إليّ وتخلي بيني وبينه، فإني عامل بما يجب أن يفعل به مطيق له، والمراد حسبي مجازيًا^(٢) لمن يكذب بالقرآن، فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل عليّ في الانتقام منه تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديدًا للمكذبين. استدرجه إلى كذا: إذا استنزله إليه درجة فدرجة، حتى يورّطه فيه. واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة، فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقًا إلى ازدياد الكفر والمعاصي ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم، لأنهم يحسبونه إيثارة لهم وتفضيلًا على المؤمنين، وهو سبب لهلاكهم ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُ لِمَنْ لَّيَزَادُوا

(١) قوله: «وهم سالمون الأصلاب» لعله سالمو الأصلاب بالإضافة. (ع)

(٢) قوله: «المراد حسبي مجازيًا» الاستعمال المعروف: حسبك بي مجازيًا. أو حسبك الله مجازيًا. (ع)

إِسْمًا ﴿آل عمران: 1٧٨﴾ والصحة والرزق والمد في العمر: إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة، ولكنهم يجعلونه سببًا في الكفر باختيارهم، فلما تدرجوا به إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدرج. وقيل: كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه. وسمي إحسانه وتمكينه كيدًا كما سماه استدراجًا، لكونه/٢/ ٢٣٣ في صورة الكيد حيث كان سببًا للتورط في الهلكة، ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

المغرم: الغرامة، أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجزاء، فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم، فيشطهم ذلك عن الإيمان ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ﴾ أي اللوح ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ منه ما يحكمون به.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُوهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ فَجَمَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوتِ﴾ يعني: يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظًا، من كظم السقاء إذا ملأه، والمعنى: لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة، فتبتلى ببلائه، حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه. وقرأ ابن عباس وابن مسعود: «تداركته». وقرأ الحسن: «تداركه»، أي تداركه على حكاية الحال الماضية، بمعنى: لولا أن كان يقال فيه تداركه، كما يقال: كان زيد سيقوم فمنعه فلان، أي كان يقال فيه سيقوم. والمعنى: كان متوقعًا منه القيام. ونعمة ربه: أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه. وقد اعتمد في جواب «لولا» على الحال، أعني قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء، ولولا توبته لكانت حاله على الذم. روي أنها نزلت بأحد حين حل برسول الله ﷺ ما حل به، فأراد أن يدعو على الذين انهزموا. وقيل: حين أراد أن يدعو على ثقيف. وقرئ: «رحمة من ربه» ﴿فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ﴾ فجمعه إليه، وقربه بالتوبة عليه، كما قال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَاتَّابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢] ﴿فَجَمَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي من الأنبياء. وعن ابن عباس: رد الله إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا نُو إِلَّا ذِكْرٌ

لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

إن مخففة من الثقيلة واللام علمها. وقرئ «ليزلقونك» بضم الياء وفتحها. وزلقه وأزلقه بمعنى: ويقال: زلق الرأس وأزلقه: حلقه: وقرئ: ليزهقونك، من زهقت نفسه وأزهقها، يعني: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولهم: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني، أي: لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله. قال [من الكامل]:

يَتَقَارِضُونَ إِذَا التَّقَوَّا فِي مَوْطِنٍ نَظْرًا يُزِلُّ مَوَاطِيءَ الْأَقْدَامِ^(١)

وقيل: كانت العين في بني أسد، فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء، فيقول فيه: لم أر كالיום مثله إلا عانه، فأريد بعض العيانيين على أن يقول في رسول الله ﷺ مثل ذلك، فقال: لم أر كالיום رجلا فعصمه الله. وعن الحسن: دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أي القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة ﴿وَيَتَوَلَّوْنَ إِيَّاهُ مُخْضِعُونَ﴾ حيرة في أمره وتنفيرا عنه؛ وإلا فقد علموا أنه أعقلهم. والمعنى: أنهم جنتوه لأجل القرآن ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وموعظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ فكيف يجنن من جاء بمثله.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم» (١٦٤٩).

١٦٤٩ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب. انتهى

(١) يقول: إذا التقوا في مجلس - وروي موطن - يتفارضون، أي: يقرض بعضهم بعضاً بنظره إليه، كأن أحدهم يعطي خصمه النظر، والثاني يكافئه بنظره إليه حسداً وغيظاً؛ وإزالال مواطيء الأقدام: كناية عن الإهلاك؛ لأن من زلت قدمه سقط على الأرض وربما هلك. أي: ينظر بعضهم بعضاً نظر الحسود المغتاط، فتسبب عن ذلك زلل الأقدام عن مواطئها، وإيقاع الإزالال على مواضع الأقدام: مجاز عقلي، لأنه محله، وفيه مبالغة في زلل القدم. لسان العرب (قرض)، (زلق)، وتاج العروس (قرض)، (زلق)، وتهذيب اللغة ٨/٣٤٢، ٤٣٢، ومقاييس اللغة ٣/٢١.